— 3 —

ضد الحقيقة / ضد الواقع:

يدور مهرجان القيس على فكرة مركزية وهي الاحتفال بخلو المدينة من الرجال. ولذا تبادر النساء إلى معاقبة أي رجل يظهر في الأفق. والويل كل الويل لرجل يتم اكتشافه متسللاً داخل عساكر المهرجان.

هذه ليلة المرأة ومدينتها. وهي ليلة المجاز وليلة الكناية والتورية. ولذا فإن المرأة تتنكر على هيئة رجل، وهذه صورة مجازية مقبولة يعتمد عليها المهرجان وتقوم عليها فكرة الاحتفال. ولا يجوز ظهور الرجل الحقيقي لأنه ظهور مضاد للمجاز. ومجرد ظهور رجل في الشارع أو في الموكب فهذا معناه إلغاء المجاز الأنثوي المتمثل بصورة امرأة تتقمص هيئة رجل، وهذا معناه إفساد المهرجان وكسر فكرة الاحتفال.

إن ظهور الرجل في هذه الليالي معناه ظهور الحقيقة والواقع، والمرأة في هذه الحالة تعود إلى طبيعة وضعها الواقعي والحقيقي حيث مكانها البيت وليس لها حق الوجود في الشارع. وهذا ما حدث فعلاً في الستينات وما بعدها حيث صار وجود الرجال في وسط مكة وقت الحج سبباً لاختفاء المهرجان.

وهنا يتأسس صراع ما بين خيال المرأة وحلمها من جهة وما بين الحقيقة والواقع من جهة ثانية ونتيجته هي أن ظهور الرجل يعني إلغاء المرأة.

وكانت المرأة تدرك هذه المعادلة الصفرية، وتسعى إلى التعامل معها. وهذا ما جعل النساء المكيات يركزن على تطهير ليالي المهرجان من الرجال.

وإن كنا رأينا في مطلع هذا الفصل صوراً لأحلام المرأة في مدينة